

نفحات القرآن

[261] الآية الثالثة تنقل كلاماً عن أوّل نبي من أوّلي العزم وهو شيخ الأنبياء نوح (عليه السلام) الذي لم تتضمن دعوته منذ بدايتها نداء سوى نداء التوحيد في العبادة ورفض الأصنام حيث يقول : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) . ويستفاد من هذه الجملة بأنّ الشرك كان ولا يزال أدمى شوكة في طريق سعادة البشرية ، والأنبياء الذين يمثلون الرعاية لبستان التوحيد كانوا يهتّمون قبل كلّ شيء برعاية زهور الفضيلة في الروح البشرية ويقتلعون هذه الأشواك المعترضة بمنجل التوحيد ، وخاصة في عصر نوح (عليه السلام) . كما يستفاد من (الآية 23 من سورة نوح) حيث كانت هناك أصنام عديدة ومتنوّعة بإسم (ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر) . وكانت على هيئة رجل ، وامرأة ، وأسد ، وفرس ونسر على التوالي ، وكانوا يعبدونها بجميع وجودهم ، ولمّا رأى نوح منهم العناد والإصرار هدّدهم بعذاب الله ، كما نقرأ في ذيل الآية : (إِنْ أَنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَخُذُوا زِينَتَكُمْ) ، أي أنّي أخاف عليكم عاقبة الشرك . والظاهر أنّ المراد من اليوم العظيم هو يوم الطوفان الذي لم يحدث نظيره في تاريخ العقوبات التي نزلت على الأقوام السابقة ، كما احتمل أنّ (يوم عظيم) إشارة إلى يوم القيامة(1). وقد جاء في تفسير الميزان بأنّ هذه الآية قد جمعت أصليين من أصول الدين في جملة قصيرة هما : (التوحيد والمعاد) كما جاء الأصل الثالث وهو (النبوة) في آية (يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ) (2) . * * *

1 - هذان التفسيران قد صرّح بهما في كلمات المفسّرين

السابقين ومنها ما أشار إليها الفخر الرازي في الجزء 14 ص149 في ذيل آيات البحث . 2 - تفسير الميزان : 8/180 .